يفعل ولا لوم عليهِ ولا تثريب على من دعاهُ لمعالجتهِ فلبّى الطلب اذ لا حرج في امر الثقة والحريّة الشخصية . وعلى الطبيب الجديد حينئذٍ ان لا يغتاب الطبيب الاول بوجهٍ من الوجوه

ومما لا يمكنني السكوت عنهُ في هذا المقام ان المريض اذا استبدل طبيبًا بآخر فكثيرًا ما يعتذر عن عملهِ هذا بقدحهِ وطعنهِ في طبيبهِ الاول واذا كان الطبيب الثاني غير اديب استغنم هذه الفرصة ليدفعهُ الى زيادة الطعن مجاريًا اياهُ على زعمهِ وتوهمهِ . واما اذا كان شريف النفس ابيها فلا يسمح قط بمثل ذلك لانهُ يمسُّ شرف صناعتهِ وقدر رصيفهِ واذا بارى المريض على اوهامهِ اضرَّ به لانهُ يقنعهُ انهُ اضاع الوقت والدراهم سدًى وان العلة تفاقمت وتعاظمت . فعلى الطبيب اذا لم يكن لهُ من مبادىء الشهامة ما يحملهُ على مراعاة حسب زميلهِ ان يعمد على الاقل الى مراعاة حالة المريض فتأخذهُ الشفقة عليهِ ويتحاشى نسبة عدم النجاح للعلاج الذي أجري

واذا كان قد نفذ القضاء بالعليل وسئل الطبيبُ حكمهُ في معالجة اجريت من سواهُ كما يحصل في غالب الاحيان . فليصمت عن الجواب مردّدًا على اهلهِ هذين البيتين لاني كثيرًا ما شاهدت على وجوه سامعيها دلائل التعزية والتسليم في مثل هذه الظروف

ان الطبيبَ لهُ في الطب خبرةٌ ... مادام في أجل الانسان تأخيرُ
اما العليلُ فان حانت منيتهُ ... تاه الطبيبُ وخانتهُ العقاقيرُ

الوقاية من الامراض

ذكرنا في مكان آخر من هذا الجزء طرفًا من تاريخ مؤتمر العجزين والديوغرافيا وخطبة رئيسهِ ولي عهد انكلترا ثم اطلعنا على ما ألقي فيهِ من الخطب وما دار من المذاكرات فاذا هي مشحونة بالفوائد العلمية والعملية ولذلك رأينا ان نقتطف منها ما هو قريب المأخذ جزيل النفع

والفرع الاوّل من فروع قسم العجزين هو فرع العلاج المنعي وكان رئيسهُ الدكتور يوسف فيرر فقال في خطبة الرئاسة ان ربع الذين يموتون في بلاد الانكليز يكون سبب موتهم امراض يمكن اتقاؤها وان عدد الوفيات يمكن ان يقلّ كثيرًا عمّا هو الآن فيطول متوسط عمر الانسان ويبلغ ثمانين سنة حسب ما قال صاحب الزبور ويزول كثير من الآلام

والاتعاب التي تنغص الحياة وتكدر كاسها

واكبر مانع منع البلوغ الى هذه الحالة هو الجهل وعدم الثقة بالاطباء والعلماء . فان معرفة نواميس الحياة والصحة وعلل الامراض قد اصلحت اساليب المعيشة وزادت قيمة الحياة وقلّلت اسباب المرض والموت ولو سمح لي الوقت لقابلتُ بين حالة انكلترا في عصر الملكة فكتوريا لما صار عدد سكانها اكثر من ٢٩ مليونًا وحالتها في عصر الملكة اليصابات لما كان عدد سكانها اربعة ملايين فقط ولوصفتُ تلك الاوبئة الذريعة التي كانت تفتك بالسكان على صور شتى كالموت الاسود والطاعون والجدري والامراض الخبيثة كالجذام والاسكربوط والحمّى الملارية والدوسنطاريا . وشظف العيش الذي كان شائعًا حينئذٍ وقذارة المساكن وضيق الشوارع وكثرة المستنقعات . فان خمس البلاد كان مغطًّى بالمستنقعات والآجام . وكانت مساكن الناس حينئذٍ من الخشب والطين ولم يكن لها مصارف ولا نوافذ لتجديد الهواء وكانت ارضها مفروشة بالقش والهشيم واسواق المدن ضيقة خالية من المصارف تنبعث من ارضها اخبث الروائح وكان طعام الناس اللحم المملّح وشرابهم المسكرات اما الآن فالبيوت احسن وضعًا وبناء ومصارفها ومنافذها وافية بشروط الصحة والارض خالية من المستنقعات ولم يعد للحمّى الملارية والدوسطاريا والجذام اثر في البلاد وحسنت حال المعيشة وقلّت الوفيات وطال متوسط العمر وصار الماء نقيًّا والطعام مغذيًا واللباس موافقًا للاقليم وخفّت مضار الاعمال المضرّة بالصحة وحسنت حالة الشعب الجسديّة والعقليّة والادبيّة . وانتشر التعليم وعمّ وانتظمت الحكومة ولم تزل حال مدننا تستدعي زيادة الاصلاح وان من اغراض هذا المؤتمر تبيين كيفيّة هذا الاصلاح في هذه البلاد وفي غيرها من البلدان

ثم قال ان الامراض التي يمكن الاتقاء منها تقتل كل سنة ١٢٥ الف نفس والذين يرضون بها يتعطلون عن العمل اكثر من ٧٨ مليون يوم في السنة وذلك يساوي سبعة ملايين وثلاثة ارباع المليون من الجنيهات . ولا يمكننا ان نزيل الامراض الخميرية تمامًا ولكن يمكننا ان نضعف فعلها كثيرًا ونقلل عدد الذين يصابون بها

ثم التفت الى موضوع خطابه وهو العلاج المنعي واشار الى الهبنوتزم وحذّر من استعماله ومن سوء استعمال الالكحول والافيون والكلورال وغيرها من المنبهات والمخدرات واطال الكلام على التعليم وعلى اجهاد قوى التلميذ العقلية واهمال تربيته الجسديّة وقال ان من واجبات الطبيب ان يقي الصغير من سوء التعليم ومضاره

والتفت بعد ذلك الى التدابير الصحيَّة التي تتخذ في المدن فقال انها ليست مما يقوم بهِ افراد الناس وحدهم بل ان الحكومة نفسها قد اقبلت لمعاضدتهم في مدة ملك الملكة فكتوريا فسنّت القوانين ولم تستطع تنفيذها كلها لما هو راسخ في الاذهان من الاوهام ولو نُفّذت كلها لبلغنا غاية مانا . ولو نُصّب في البلاد وزير للصحة لاستفادت البلاد منهُ فوائد لا تقدّر ومع ذلك فنحن مديونون للمجلس المحلي الذي اصلح كثيرًا من الخلل وازال كثيرًا من المضار وبعنايتهِ حُفظت هذه البلاد من الكوليرا مع انها انتشرت في ما جاورنا من البلاد وقد ثبت الآن ان التدابير الصحية خير الوسائط لمنع الامراض الوبائية عن دخول البلاد وتوقيف سيرها اذا دخلت

وقد تناقص عدد الوفيات في بلاد الانكليز منذ سنة ١٦٦٠ إلى الآن فقد كان متوسط الوفيات من كل الف نفس في السنة على ما في هذا الجدول

٨٠	في الالف	من سنة	١٦٦٠	الى سنة	١٦٧٩
٤٣	" "	" "	١٦٨١	" "	١٦٩٠
٣٥ ٥/١٠	" "	" "	١٧٤٦	" "	١٧٥٥
٢٤ ٩/١٠	" "	" "	١٨٤٦	" "	١٨٥٥
٢٢ ٤/١	" "	" "	١٨٦٦	" "	١٨٧٠
٢٠ ٩/١	" "	" "	١٨٧٠	" "	١٨٧٥
٢٠	" "	" "	١٨٧٥	" "	١٨٨٠
١٩ ٣/١٠	" "	" "	١٨٨٠	" "	١٨٨٥
١٨ ٧/١٠	" "	" "	١٨٨٥	" "	١٨٨٩
١٧ ٨/١٠	" "	" "	١٨٨٩		

فنقص متوسط الوفيات من ثمانين في الالف في السنة الى اقل من ثماني عشرة في الالف في السنة اي زاد متوسط عمر الانسان من اثنتي عشرة سنة الى ست وخمسين سنة

ولا خفاء ان قلّة الوفيات الى هذا الحد لم تحدث من تغيير في طبيعة الاقليم او طبيعة السكان انفسهم بل من التدابير الصحية وانتشار المعارف وإتقان الامراض ومعالجتها ويؤيد ذلك ان متوسط الوفيات لم يبلغ هذا الحد في كل مدينة من المدن الانكليزية على حدٍّ سوى بل هو اكثر من ذلك كثيرًا في المدن الكثيرة المعامل والازدحام التي لم تبلغ فيها التدابير الصحية اعلى درجات الاتقان واقل منهُ في المدن التي بلغت فيها التدابير الصحية اعلى درجات

الاتقان . ويختلف ايضاً باختلاف طبقات الناس وصنائعهم ودرجاتهم في المعارف وتعرضهم للاخطار وكل ذلك دليل على ان عمر الانسان قد قصر لانهُ لا يراعي نواميس الطبيعة

ماذا نفعل بالمدافن

لا يمرُّ بنا اسبوع الاَّ ونسمع شكاوي متعدّدة من المدافن وقربها من منازل الناس وليس ذلك بمستغرب في بلاد كان الاهتمام بمدافن الموتى اكبر شاغل فيها للاحياء من قديم الزمان . واذا صحَّ الاستدلال على اعمال الناس من آثارهم كانت اكثر اعمال المصريين القدماء قاصرة على عبادة الآلهة وتحنيط الاموات ودفنهم . والظاهر ان لذلك سببين كبيرين الاول ديني وهو الاعتقاد بالخلود وحفظ الاجساد لكي تعود الارواح اليها والثاني صحي وهو حفظ ماء النيل مما يحلُّ بالاجساد من الفساد اذا دفنت في الارض بغير تحنيط وقد ذهب بعض الباحثين الى ان السبب الثاني هو السبب الاصلي وان السبب الاول متفرّع منهُ

ومهما يكن من امر الداعي الذي دعا المصريين القدماء الى تحنيط موتاهم واتخاذ المدافن لهم في الصخور الشاخصة والجبال الشامخة فلا خلاف في ان ماء النيل يتخلل كل تربة القطر المصري وفي ان الماء الذي يجري تحت الارض اكثر من الماء الذي يجري في النهر وترعه . ولا خلاف ايضاً في ان الذين يموتون بالامراض المعدية كالجدري والتيفوس ونحوها تصير اجسادهم مجمعاً لجراثيم هذه الامراض فتتكاثر فيها بعد الموت وتنتشر منها فتصعد مع الهواء وتجري مع الماء وتعرّض كثيرين لهذه الامراض

ولما اجتمع مؤتمر الهجينين في بلاد الانكليز في الاسبوع الماضي خطب فيهِ الدكتور الشهير السر هنري طمسن خطبة بليغة عدَّد فيها المضار الناتجة عن دفن الذين يموتون بالامراض المعدية في التراب او في القبور المتبوَّة وافاض في هذا الموضوع وبيَّن سوء العاقبة على اهالي المدن والاماكن المزدحمة بالسكان من وجود المدافن بقربهم حاسبًا ان المصاب بمرض معدٍ يضرُّ بمماتهِ اكثر مما يضرُّ بحياتهِ لان جراثيم الداء المعدي قلما تنتشر منهُ وهو حي ولكنها تتكاثر في جسمهِ وتنتشر منهُ وهو ميت حتَّى يبقى جسد الميت شهرين او اكثر وهو مصدر تنبعث منهُ جراثيم العدوى بل يبقى سنين كثيرة والجراثيم تنتشر منهُ ولا تفعل فعلها المضرَّ الاَّ اذا تغير الهواء تغيُّرًا مُعِدًّا لانتشار ذلك الداء . وذكر الطرق التي استُعملت لازالة العدوى من اجساد الذين يموتون بالامراض المعدية وقال انهُ قد ثبت بالامتحان ان الحرق